سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 13،العدد 2- 2023، ص.ص:457-474

Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V:13, N° 2-2023,P.P: 457-474

الإنسان الفائق من نيتشه إلى فلاسفة ما بعد الإنسانية

The superhuman from Nietzsche to Post-humanism

د.عبد الغاني عليوة

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر) (a.alioua@univ-setif2.dz)

تاريخ الاستلام : 2023/02/20 ؛ تاريخ القبول : 2023/04/04 ؛ تاريخ النشر : 2023/05/20

الملخص

تهدف ورقتنا البحثية هذه إلى إبراز التحولات الكبرى التي شهدتها حياة الإنسان، وذلك من خلال مسار تطور فيه حلمه بظهور الإنسان الأعلى، فكان الشرق من أكثر الناس إيماناً به، لإيمانهم بالأنبياء الذين هم صورة كاملة لهذا الإنسان المأمول، في الوقت الذي كان فيه الأوروبيون منغمسون في دراسة الحياة الواقع، ونسوا الإنسان الكامل، حتى جاء نيتشه Nietzsche (1844- 1900) في مطلع العصر الراهن، حيث بشر بموت الإله وأعلن عن ضرورة إحلال محله الإنسان الأعلى Le Surhomme، وذلك في كتابه "هكذا تكلم زارادشت"، وكانت قد ذاعت في الفكر الأوروبي نظرية النشوء والارتقاء، فالانتخاب الطبيعي لداروين والتي تأثر بها نيتشه نفسه، حلم هذا الأخير ومن خلال هدمه لكل المركزيات الغربية في مشروعه الفلسفي، وتحطيمه للقيم السائدة والتي كانت من وضع الإنسان الارتكاسي، بتجاوز الإنسان لوضعه والارتقاء بنفسه إلى مرتبة من التفوق، وذلك بمجموعة من الصفات التي لا بد منها (القوة والشجاعة، الرجولية والإقدام..)، في الوقت ذاته ينبغي للضعيف تسليم نفسه للموت، لأنه لا مكان له في الحياة، والإنسان الذي ينشده نيتشه أرضياً لا روحانياً، لقد كانت فلسفة نيتشه منعطفاً حاسماً في تاريخ الفكر الفلسفي الغربي.

الكلمات المفتاحية: الإنسان الأعلى، ما بعد الإنسانية، البيوتكنولوجيا، الذكاء الاصطناعي، اليوجينيا، الأزمة، الأخلاقيات الجديدة.

Abstract

Our research paper aims to highlight the major transformations in human life, through a path in which his dream of the emergence of the supreme human being developed. The study of real life, and they forgot the perfect man, until Nietzsche (1844-1900) appeared at the beginning of the current era, when he preached the death of God and declared the need to replace him with the supreme human, Le Surhomme, in his book "Thus Spoke Zarathustra", and it had spread in thought The European theory of evolution and evolution, the natural selection of Darwin, which was influenced by Nietzsche himself, the dream of the latter and through his demolition of all Western centers in his philosophical project, and his destruction of the prevailing values, which were the position of the reactive man, by transcending his condition and raising himself to a rank of superiority, with a set of indispensable qualities (strength, courage, manliness and daring..), at the same time the weak should surrender himself to death, because there is no place For him in life, and for the human being whom Nietzsche seeks on the ground, not spiritually. Nietzsche's philosophy was a decisive turning point in the history of Western philosophical thought.

Keywords: superhuman, transhumanism, biotechnology, artificial intelligence, eugenics, crisis, new ethics

1. مقدمة:

تشهد البشرية اليوم تحديات كبيرة، في ظل تطور التقنيات الحيوية، فما كان مجرد أحلام لا يعيشها الإنسان إلا من خلال أفلام الخيال العلمي، أصبح اليوم واقع تجسده مختلف تقنيات البيوتكنولوجيا، بداية بالاستنساخ، والإنجاب الاصطناعي، واليوجينيا، والهندسة الوراثية وغيرها من التقنيات التي مكنت الإنسان من تحقيق أحلامه، في تحسين الجنس البشري سعياً وراء إنسان متكامل الأوصاف جسدية كانت أو عقلية أو نفسية، صورة هذا الكائن التي لطالما تحدث عن تجسيدها الفلاسفة أمثال فريدريك نيتشه الألماني، وغيره قبله، لقد أدخلت اليوم تعديلات كثيرة على الكائن البشري، حتى أصبحنا نشهد إنسان هجين يجمع بين الآلة– الإنسان، مما ولد قلقاً على مصيرنا المستقبلي لدى بعض المفكرين الفلاسفة والمشتغلين في الحقل الأخلاقي، وبالخصوص المهتمين بأخلاقيات البيولوجيا، وبهذا نتساءل نحن بدورنا؛ هل بإمكان الإنسانية تجاوز ذاتها حقاً، والارتقاء بنفسها إلى مستوى الإنسان الفائق؟ وما مصير الإنسان في ظل ما تشهده البيوتكنولوجيا من تطور اليوم؟

2. أصول فكرة شخصية الإنسان المتفوق أو الإنسان الفائق

في الحقيقة لم يكن نيتشه أول من ابتدع شخصية الإنسان المتفوق أو الخارق، حيث نجد جذور هذه الشخصية عند الشاعر والمسرحي والفيلسوف الألماني يوهان كريستوف فريدريك فون شيلر Johann Christoph Friedrich Von Schiller (1759– 1805)– يعتبر هو وغوته مؤسسا الحركة الكلاسيكية في الأدب الألماني، من بين أعماله الدرامية الشهيرة "مسرحية اللصوص"، و"ثلاثية فالنشتاين" العظيمة وغيرها– (1)، فمن بين الشخصيات المسرحية يصور لنا شيلر تلك الشخصية القادرة على الوصول إلى مراق عالية؛ كونها حرة لا يحكمها أي نظام طبيعي أو ثقافي، إنها شخصية قادرة على الارتقاء بسهولة إلى المجد لما تتمتع به من استثنائية وفرادة.

كما أشار أيضاً الفيلسوف الروسي دوستويفسكي (1821–1881) لشخصية الخطأ العظيم، تلك الشخصية النيتشوية التي تريد أن تحط من المجتمع على الأرض، لأن منظومة قيمه لا تتيح للإنسان المتفوق الذي يفهم معنى الحرية والحياة، أن يعيش من خلالها.

حيث ذهب نيتشه حين أعلن أن الحداثة قد أدت إلى (موت الإله)، لكنه أخذ يطالبها بأن تخطو خطوة نحو تنصيب الإنسان الأعلى مكان الإله، إذ يقول في مؤلفه العلم المرح على لسان إحدى الشخصيات؛ أين الإله؟، سأقول لكم! لقد قتلناه أنتم وأنا!، نحن، نحن كلنا، قتلته!، لكن كيف فعلنا ذلك؟، ألا يجدر بنا أن نصير نحن أنفسنا ألهة لكي نبدو جديرين بهذا الفعل؟ لم يحصل لنا إطلاقاً فعل بهذه الجلالة؟ كل من سيولد بعدنا سينتمي، بفضل هذا الفعل نفسه، إلى تاريخ أعلى من كل تاريخ وُجد حتى الآن؟.

محاولة تحسين البشرية أيضاً لم تكن جديدة بل هي قديمة نجدها في أساطير وملاحم الميثولوجيا الإغريقية، أحداثها تتمحور حول تقمص دور الإله، ومحاولة تحسين دور البشر، لقد شاعت فكرة ما بعد الإنسانية في العصر الأنواري، كما لم تغب فكرة الإنسان الكامل عن الثقافة الإسلامية أيضاً، فهذا الشيخ الأكبر ابن عربي، يُعد أول من أدخل مصطلح الإنسان الكامل على الفكر الصوفي والعربي الإسلامي عامة، رغم أن البعض يعتبر أن الفكرة دخيلة على الثقافة الإسلامية باعتبارها يهودية الأصل ترتبط بالبشير أو المسيح، في حين يذهب البعض الأخر إلى كونها من أصل فارسي (أصل آري)، والفكرة قالت بها الشيعة الإمامية، وربطتها بما يسمى بالمهدي المنتظر. غير أن الكمال الذي يوصف به الإنسان لدى ابن عربي لا يعني ما يتبادر إلى الذهن من مدلولات أخلاقية، أو أوصاف جسدية، وإنما مدلولات أنطولوجية غنوصية، معرفية ونظرية، لا تتوفر إلا في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، أو صحابته، فالرسول محمد هو النموذج الكامل التطبيقي، كونه مختار إلهياً فخلقه القرآن.

إذا تتبعنا مسار بروز الفكرة أيضاً على مدار التاريخ البشري، لا يمكن إهمال كتاب (أصل الأنواع) لمؤلفه تشارلز داروين، والذي صدر سنة 1859م، حيث كان لهذا الكتاب تأثير بالغ على الفكر الإنساني، خصوصاً فيما يتعلق بفكرة التطور التي أخذها عنه معاصروه، والتي امتدت إلى عصرنا الحالي مروراً بفريدريك نيتشه، ثم مع العلمانيين– الممجدين لدور العلم– أمثال فرانسيس غالتون، وجون برودون هالدين، إلى فلاسفة ما بعد الإنسانية وعلى رأسهم هوكسلي، وقد تنبأ هالدين وتفاءل كثيراً لما سيقدمه العلم عموماً، والبيولوجيا والوراثة على وجه الخصوص.

3. التبشير بالإنسان الأعلى في فلسفة نيتشه

فلسفة نيتشة يعتبرها الكثير أنها ذات مساران، الأول: أنها فلسفة **تقويضية** بحته و نقدية صارمة لكل ما هو سائد و متوارث، و الثاني: **تمجيد مُطلق للقوة**، فالربط بين المساران يتضح جلياً في فلسفته، فكل تمرد على السائد من قانون وأخلاق ودين وقيم لا يفعله إلاّ أصحاب الإرادة القوية فمن يريد أن يكون قوياً عليه أن يكون متمرداً على هذه الأشياء، فالعدالة و الحب والخير والسلام والرحمة والإخاء مع الآخرين... الخ، صفات إنسانية وهي صفات الإنسان الضعيف، وعلى الإنسان القوي أن يتجاوز هذه السخافات حسب نيتشه. فالوجود هو الحياة والحياة عبارة عن إرادة والإرادة هي إرادة القوة (La volonté de puissance) –تعبير قال به نيتشه في عنوان كتاب له، ومؤداه أن الصراع من أجل الوجود ينمو حتى يصير إرادة قوة، وهذه الإرادة هي الدافع الحقيقي نحو التطور.

الإرادة عند نيتشه معارضة للعقل، وفلسفته كلها ضرب من الإرادية–(2 صفحة 8)، ففي القيم مثلاً يتساءل نيتشه" ما هو الخير؟ إنه كل ما يربي الشعور بالقوة إرادة القوة، والقدرة ذاتها داخل الإنسان. ما هو الشر؟ إنه كل ما يتأتى عن الضعف. ما هي السعادة؟ الشعور بالقوة تتنامى، وأن المقاومة تُتجاوز. ليس أنها الرضى، بل قوة أزود؛ ليس السلام، ولا بأية طريقة، لكنها الحرب؛ لا الفضيلة؛ بل الكفاءة"(3 صفحة 25) هذه هي تمخضات الفلسفة النيتشويه.

ويذهب نيتشه فيقول بأن الأقوياء يتصارعون مع الضعفاء في هذه الحياة و يسحقونهّم ثم يتصارع الأقوياء فيما بينهم و ينتصر الأقوى و تتكرّر الصراعات و هذه هي صيرورة الحياة عنده، وهُنا يتضح مدى تأثر نظرية التطّور الداروينية على فكر نيتشه الفلسفي، وفي خضّم هذا الصراع يظهر الإنسان الأعلى الذي بشّر به نيتشه على لسان زارادشت، و لكن من هو هذا الإنسان الأعلى؟.

3. 1 من الإنسان الأخير إلى الإنسان الأعلى

الإنسان الحداثي، هو إنسان وارث القيم التي تشكلت عبر التاريخ، لكنه صار يعاني من" التباس القيم، فبنسيانه أن ما من تقويم إلا وهو منوط بمنظور معين، وبوراثته تقويمات متعددة، بل متعارضة، صار الإنسان الحديث الواحد تحكمه نوازع متضادة ...، وكان أن أبانت العدمية التي انتهى إليها أنه لم يكف، في أغلب أطوار حياته، عن الهذيان"(4 صفحة 696)، وهذا يعني أنه صار مريضا ومنحطا،

لأنه كائن يزدري الحياة ويسممها، ويحاكمها باسم الروح والقيم المتعالية التقليدية والحديثة. لقد تَعِبتْ الأرض ومعها الأجساد الحرة من هذا الكائن الخارق الذي لا يريد أن ينتهي أو يزول؛ كائن الحقد والضغينة والنفي.

فما الإنسان العادي، الإنسان العدمي، الإنسان الأخير إلا كائن يجب أن نفوقه، فكل أعراض هذا الكائن المريض، تفرض التعجيل بتجاوزه، يقول محمد الشيخ:" إذا كانت مغامرة الإنسان بالمفهوم التقليدي – أي الحيوان المقوم على وجه السلب – انتهت إلى العدمية؛ أي إلى (الإنسان العدمي)، بما هو (آخر إنسان)، فإن ذلك كان مدعاة لتجاوز الإنسان، إذن وما الإنسان إلا مرحلة تجتاز وأفول يحدث)، وإذا حق أنه الكائن المريض، فإن حق أيضا أنه الكائن القادر على مداواة نفسه، وذلك بتجاوز مرضه. لقد عمر الإنسان الأخير طويلا، ولازال يحلم بالعمر المديد لأن سلالة هذا الرجل لا تباد، متشوقًا إلى الدور الذي يمكن أن تلعبه مؤسسات الرفق بالمرضى والمعلولين والميئوس من شفائهم، وبالمجهود الذي يبذله أناس الزمن الأخير؛ الخيرون، والطيبون الحالمون بالاعتراف الشمولي، من الواجب التذكير إن كانت الذكرى ستنفع، بأن عظمة الإنسان قائمة على أنه مَعبرٌ وليس هدفاً، وما يستحب فيه هو أنه سبيل وأفق غروب، فمفهوم الاعتراف ومحبة الغير ذات النفحة الروحية، لن يساعدا حتى على إيجاد السعادة واختراعها، لأن الأمر ببساطة في نظر نيتشه لا يتعلق بالسعادة، تكمن مهمة الإنسان الأخر أو من يسميه نيتشه بالإنسان الطبيب هي دراسة" مشكلة الصحة الاجتماعية لشعب ما، لحقبة ما، لجنس ما، للإنسانية...، لم يكن الأمر يتعلق ذلك الحين بالعثور على الحقيقة إطلاقاً، ولكن بشيء آخر تماماً، لنقل بالصحة، بالمستقبل، بالنمو، بالقوة، بالحياة..."(5 الصفحات 45–46).

فالتطور في التاريخ من الناحية القيمية، والسياسية والدينية والأخلاقية، يكشف لنا من الجانب الخفي تقدم الصراع بين القوى المتصارعة، ليظهر الإنسان الأعلى le surhomme كبُعد مستقبلي في فلسفة نيتشه يحاول من خلاله تعويض النقص الذي انتهى إليه التاريخ عند هيجل، وذلك من خلال فلسفة اللاراهن (l'inactuel)، إذ نجد في الإنسان الأعلى تتويجا لإرادة القوة، وهو حالة وسطى بين الإنسان الأخير والإنسان الفائق، والذي يمثله زارادشت السائر في طريقه إلى الإنسان الأعلى، المتفوق الذي لم يتحقق بعد" فإن الطريق الوحيد إلى إيجاده ليس إلا تخطي الإنسان لذاته"(6 صفحة 45).

3. 2 الإنسان الأعلى

الإنسان الأعلى Le surhomme؛ هو ذلك الموجود الذي يحيا في الأطراف البعيدة، والذي ينبغي عليه أن يختار ذاته، وألا يختارها إلا لكي يثب إلى ما وراءها باستمرار، هو عبارة عن مستقبل، يجري البحث عنه باستمرار. الإنسان الأعلى "السوبرمان" اصطلاح عنى به نيتشه ضرباً من الطراز البشري اعتدلت طبيعته واستكملت قوته، أوجده ليعارض به اصطلاح (الإنسان الأخير) من حيث هو (الإنسان الحديث) أو (الإنسان الطيب) أو (الإنسان العادي) الذي قال به المسيحيون والعدميون؛" الإنسان الأسمى هو معنى الأرض. فليقل فعل إرادتكم: عسى يصبح الإنسان الأسمى معنى الأرض! أتوسل إليكم يا إخوتي، ابقوا أوفياء للأرض ولا تصدقوا من يكلمونكم على رجاآت فو– أرضية. إنهم مسمّمون، عن علم منهم أو عن جهل.."(7 صفحة 121) كلام ورد في كتاب نيتشه لجيل دولوز، أي أنه لم يكن يقصد به، مثلما ادعى ذلك الكثير من النظار، طراز (الإنسان المثالي) الذي شقٌّ منه قديس والشق الآخر عبقري، ولا المعنى البيولوجي الداروينيي– نسبة للمفكر وعالم الحيوان الإنجليزي (تشارلز روبرت داروين Charles Robert Darwin): اشتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي، حول نشأة الإنسان، ولد في إنجلترا في 12 فبراير 1809م، وتوفي في 19 إبريل 1882م. هو من أشهر علماء علم الأحياء، اكتسب شهرته كواضع لنظرية التطور حيث بدأ اهتمامه بالتاريخ الطبيعي أثناء دراسته للطب ثم اللاهوت في الجامعة. ومن خلال ملاحظاته للأحياء قام داروين بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات وطوّر نظريته الشهيرة في الانتخاب الطبيعي عام 1838م، ألف عدة كتب في ما يخص هذا الميدان، ومع إدراكه لردّة الفعل التي يمكن أن تحدثها هذه النظرية، لم يصرّح داروين بنظريته في البداية إلا إلى أصدقائه المقربين في حين تابع أبحاثه ليحضّر نفسه للإجابة على الاعتراضات التي كان يتوقعها على نظريته، لكن نظريته الشهيرة هذه ووجهت بانتقاد كبير وخصوصا من طرف رجال الدين في جميع أنحاء العالم، دارون نفسه ظل حائرا في ما عرف بما سماه الحلقة المفقودة، التي تتوسط الانتقال من طبيعة القردة للإنسان الحديث. وفي عام 1858م بلغ داروين أن هنالك رجل آخر، وهو ألفريد رسل والاس، يعمل على نظرية مشابهة لنظريته مما أجبر داروين على نشر نتائج بحثه. ومن أبرز كتب داروين كتاب "سلالة الإنسان"، وآخر ما كتبه كان حول دودة

الأرض–(8 صفحة 473)، ناهيك عن المعنى البطولي الأخلاقي الذي يعكس معنى رومانسياً بما أفاد عبادة البطل على نحو نجده عند المؤرخ والناقد الساخر الاسكتلندي توماس كارلايل Thomas Carlyle (1795 - 1881م).

إنه البطل الذي يقهر نفسه ويقهر الغير لا يطلب سعادة شخصية، وإنما هو يخدم غاية تعلو عليه هي إيجاد **الإنسان الأعلى**، أي الصنف القوي من الناس، فإذا تمكننا من قتل الله من دون أن نموت، فكيف لا نسأل في الواقع أنفسنا حول مخاتلة الحضارة التي كانت ترتبط به؟ إذا كان بوسعنا العيش مع وخز ضمير مثير إلى هذا الحد، كيف لا نتغلب عليه بأن نحلل أنفسنا محل الله؟ إذا كنا نتوصل لملء العالم الملموس المفرغ من حضور معلن أنه متوهم، فما العمل لنضبط في ذاتنا الهيجانات والمظالم التي كنا نفترضها لديه؟(9 صفحة 162)، كل هذه التساؤلات يثيرها الإنسان على لسان نيتشه عن كيفية تجاوزه لحاله ولوضعه الراهن. وكما أن التطور الحيوي الذي يقول به دارون تقدم حتى وصل إلى الإنسان الراهن، فكذلك يجب أن يذهب إلى أبعد منه. إن الإنسان الراهن حبل مشدود بين الحيوان الأعجم والإنسان الأعلى، حبل مشدود فوق الهاوية، والإنسان الأعلى المنتظر سيفيد من كشوف العلم للسيادة على الطبيعة نفسها، غير أنه يجب أن يتوقع آلامًا شديدة في صراعه المستمر ضد الضعفاء الذين يستخدمهم، فقد يستطيعون أحيانًا بفضل عددهم أو دهائهم أن يقهروه. وعلى ذلك يكون شعاره (عش في خطر). ولما يلخص الإنسانية في شخصه، فإنه يسودها وهو مطمئن الضمير، ويجد في الفوز غبطته العظمى، وأخيرًا يثبّت مصيره إلى الأبد بقبوله أن يعود فيحيا حياة البطولة هذه إلى غير نهاية وفقًا لنظرية (العود الأبدي)(10 صفحة 190).

إن تفوق الإنسان على نفسه، وتجاوزه لذاته ولمرضه ذاك هو الإنسان الأعلى. لكن، لما كان الإنسان كائناً يجب أن ينشأ عنه ما يجتازه، ولما ما كان الإنسان هدفاً وغاية، إن هو إلا كائن عابر، فقد نشأت عن هذه الفكرة، فكرة (الإنسان الأعلى) ولئن ما كان حال الإنسان الأخير مرغوباً فيه، وإنما حسب اعتقاد نيتشه هو ما أدى إليه إثقاله كاهل الأشياء بمعان غيبية سرعان ما أبانت عن خوائها، فإن الإنسان الأعلى متجاوز العدمية، صار أمراً مرغوباً فيه مطلوباً، يقول نيتشه" إنني لا أحفل بالسؤال عمّن يمكن أن يحل محل الإنسان، وإنما سؤالي هو: أي نوع للإنسان يلزم أن يُصطفى ويُراد ويهذب؟". ومن ثمة حديث نيتشه المتكرر عن الإنسانية المقبلة بوصفها إنسانية مصطفاة منتقاة مهذبة. وعن

الإنسان الحالي بما هو عند زارادشت مادة لا شكل لها أو هيولى أو مادة خام تنتظر من ينحتها ليخرج منها أعلى طرازاتها القوية الممكنة، بينما الإنسان العادي هو الجسر بين الحيوان والإنسان الأعلى. يقول نيتشه" لقد أعدنا تصحيح المفاهيم، لقد عدنا متواضعين في كل الحقول. إننا لم نعد نشتق الإنسان من (الروح) ومن (الآلوهية)، وإنما صرنا نضعه بين الحيوانات. إننا نعده الحيوان الأكثر قوّة، ذلك أنه الأكثر دهاءً"(11 صفحة 46)، هنا إشارة واضحة للتصور الداروينيي في ارتقاء الكائنات بما فيه الإنسان حيث قطع الطريق من الدودة إلى الإنسان بحثًا عن حال أفضل، وفي هذا السياق يشير جيل دولوز من خلال كتابه (نيتشه) بالقول" لقد قطعتم الطريق من الدودة إلى الإنسان، ولا يزال فيكم الكثير من الدودة. في الماضي كنتم قرودًا، وحتى في الوقت الحاضر، لا يزال الإنسان قردًا أكثر من أي قرد"(12 صفحة 121)، ما القرد بالنسبة للإنسان؟ أضحوكة وعار مؤلم. وهكذا يجب أن يكون الإنسان بالنسبة للإنسان الأعلى؛ أضحوكة وعارًا مؤلمًا، أي وصف هذا لتطور الإنسان، وبحثه عن أرقى صور في هذا الوجود، إنسان الاختراق والتجاوز، إنسان يزيح الشكل السابق للإنسان إلى شكل جديد وهكذا.

يمر هذا الكائن العاقل بمراحل التحول الثلاث كما يبينها لنا نيتشه في كتابه هكذا تكلم زارادشت بقوله:" سأشرح لكم تحوُّل العقل في مراحله الثلاث فأنبئكم كيف استحال العقل جملاً، وكيف استحال الجمل أسدًا، وكيف استحال الأسد أخيرًا فصار ولدً(13 p. 25) ا" ، فنجد هذا العقل يبحث عن أثقل حمل فيرفعه حتى تغتبط به قوته، جميع الأثقال المرهقة، كالجمل الذي يندفع نحو الصحراء، أين يتم تحوله الثاني إلى أسدٍ طامحًا في نيل حريته حتى يبسط على عرش صحرائه، ولن يتأتى له ذلك إلا إذا واجه سيده الذي يسميه نيتشه على لسان زارا (بالتنين) أو (كلمة الواجب)، عقل هذا الأسد الذي يريد أن ينطق بكلمة (أريد)، إرادة تطمح إلى خلق سُنن جديدة، غير أن هذا الأسد غير قادرٍ على ذلك فما عليه إلاّ أن يعمل على تحرير نفسه من كل شيء حتى ذلك الواجب الذي كان أقدس حقٌ له في وقت مضى، لكنه أضحى عاجزًا كسيحًا. هنا يشير نيتشه بتساؤله عن تحول الأسد إلى طفل فيقول:" ولكن يا أيها الإخوة، ما هو العمل الذي يقدر عليه الطفل بعد أن عجز الأسد عنه؟ و لماذا يجب أن يتحول الأسد المكتسح إلى طفل؟ (فيجيب): ذلك لأن الطفل طهرٌ ونيسان، لأنه تجديدٌ ولعب وعجلة

تدور على ذاتها فهو حركة البداية وعقيدة مقدسة"(27–26 .pp 14)، من أين جاءت هذه الفكرة التي تقضي بأن على الفكر الإنساني أن يصبح طفلاً؟

كان نيتشه مطبوعًا بمفكري اليونان. والحال أن الإله اليوناني الأكثر أصالة، والأكثر قوة، لهو الإيروس. الحب مجسد في خصائص طفل ذي ثماني سنوات، طفل اندفاعي متقلب الأطوار، موجود بكامله في الحاضر ومنقاد لغرائزه، يجسد الحرية، الطاقة الحيوية في حالتها الخالصة، وهو ما سينعته النمساوي سيغموند فرويد فيما بعد (بالليبيدو)، يستدعي نيتشه هذه الحيوية ويصححها في إرادة القوة، هي قوة توجد لأنها تسقي كل كائن حي، استقبال هذه القوة، وإخضاعها وجعلها في خدمتنا، تلك هي الضرورات للإنسية اليونانية، التي يتموضع نيتشه داخل امتدادها. إن فكرة نيتشه هذه المتمثلة في التحول الذي يمر به العقل أو الفكر عبر مراحله الثلاث هي من وحي الفلسفة الداروينية التي تأثر بها، فكان إيمانه هذا مبشرًا لمجيء هذا الإنسان الجديد الخارق.

يعتبر الإنسان الأعلى من المزايا التي انفردت بها الفلسفة النيتشويه فقد جاء التبشير بقدوم هذا الإنسان على لسان ابن نيتشه كما يصفه، والمتمثل في زارادشت والذي أعلن الإعلان غير الواقعي بموت الآلهة جميعها. لقد حاول نيتشه إلصاق بعض الصفات التي لا بّد أن يتمتع بها الإنسان الأعلى؛ فهو رجل حرب قويّم وشرس وصعب المراس، يعشق الحرب والقتال ولا يحب السلام والاستسلام، يؤثر القوة الإرادية على كل شيء، ومتمرد على القيود والقيم السائدة من دينيه وأخلاقيه وغيرها ممّا هو موجود ومُتعارف عليه، فالخير لديه هو كل ما يعلى بالإنسان و يشعره بالقوة وتبعاتها من إرادة وخلافها، و**الشرّ** كل ما يتمخّض عن الضعف و تبعاته التي يعتبرها أشياء هامشيه و ثانوية بالحياة، فهو رجل لا يحب الفضيلة ويحب المهارة، يعيش حياة حرب لا سلام فيها. هذا هو الإنسان الأعلى (Le surhomme) النيتشوي كما جاء على لسان زارادشت فهو يقول: (إنّي ادعوكم بدعوة الإنسان الأعلى، أن الإنسان شيء يجب أن يُعلى عليه وماذا عملتّم للأعلى عليه؟)..، "كل الكائنات ظلت حتى الساعة تُبدع أشياء فوق منزلتها؛ وأنتم، أتريدون أن تكونوا حركة الجزر في هذا الدفق العظيم فتفضلوا العودة إلى منزلة الحيوان على مجاوزة الإنسان؟"(15 الصفحات 41–42) هكذا كان يخاطب زارادشت الجماهير، فهو إنسان معرض للمخاطر وحياتهُ في خطر دائم فهو كما يقول عنه نيتشه حبل منصوب بين الإنسان والحيوان حبل مشدود فوق الهاوية، فالخطر يحدق به من كل اتجاه فمن أراد أن يجني من

الوجود أسمى ما فيه فعليه أن يعيش بالخطر، فإذا لم يأت الخطر إليه، فليتقدم هو من تلقاء نفسه ليواجهه. وإذا لم يجده ماثلاً فيما حواليه، فليخلقه خلقًا(16 صفحة 516).

الإنسان الأسمى في فلسفة نيتشه هو الإنسان الذي يتمثّل الواقع كما هو، ويمتلك ما يكفي من القوّة لهذا الغرض، الإنسان الأسمى ليس غريباً عن هذا الواقع وليس ببعيد عنه، إنه هو ذاته، وهو ما يزال يحمل في داخله كل فظاعاته وإشكالاته، بهذه الكيفية فقط يمكن للإنسان أن يكون ذا عظمة. والإنسان الأكثر حقارةً هو ذاك الذي لم يعد قادراً على احتقار نفسه، والأحمق هو الذي ما يزال يتعثر في حجر أو بشر، والإنسان القادر على العطاء هو الإنسان الذي مازال يحمل شيئاً من الفوضى كي يَلد نجماً راقصا. فالتجاوز مع النيتشوية لا يتم انطلاقا من النفي والإنكار والإقصاء، بل بالاعتراف بالإرادة كإثبات، وهنا يختلف نيتشه مع صاحب (العالم كقوة وإرادة) شوبنهاور، الذي كان أميل إلى إنكار الإرادة المتماثلة مع مختلف تجلياتها والتي تؤدي إلى نفي ذاتها وإلغاء نفسها في الشفقة والأخلاق.

يعتبر نابليون الممّجد الكبير في الفلسفة النيتشويه هو مقارب للإنسان الأعلى إن لمّ يكّن هو الإنسان الأعلى بعينه! فنيتشه كان يمجّد نابليون بصورة كبيرة، و يحبه كثيراً كونه رجل حرب وتوافرت به غالبية الصفات التي أطلقها على إنسانه الأعلى، فنابليون طوّع الرجال وارضخ القارة العجوز (أوروبا) لحكمه واسقط الدول والإمبراطوريات الواحدة تلو الأخرى بل وصل إلى الشرق ومصر تحديداً وأخضعها، فهو مقاتل و كل الرجال تفتخر للعمل تحت أمرته و قيادته، فقد سخّر نفسه للقتال و الحرب و لا سلام ولا حب ولا فضيلة، بل حرب ولا سواها هذا هو الإنسان الأعلى انه نابليون ولو أن نيتشه لم يصرح بالقول بأن نابليون هو الإنسان الأعلى كونه بشّر به و بظهوره ولم يقل انه ظهر بعد! هذا ما قبل نيتشه. ولكن هل ظهر الإنسان الأعلى بعد موت نيتشه في 1900م ؟ لم يسلم نيتشه من المحّن في حياته فقط بل هناك محّنه تعرضت لها فلسفته من قبل النازيّين فالكثير يعتبر نيتشه نبّي للنازيّين و هذا القول يعتبر جدلي بين الكثير فهناك من يبرأه وهناك من لا يبرأه، ولكن الكثير من الأفكار النازية هي بالأصل نيتشوية الصنع، فقتل المرضى وعشق الحرب و التخلص من أصحاب العاهات كانت دعوات نيتشوية فعلها النازيّين، ولكن هؤلاء كانوا متطرفين بصورة كبيرة، فهتلر قد يكون من قراء نيتشه وتأثر به فحاول أن يكون هو الإنسان المبَشر به ولكنه فشل بالأخير بعد هزيمته أمام الحلفاء، فهتلر قد

يكون هو أكثر شخص بعد موت نيتشه حاول أن يجسد صورة الإنسان الأعلى الذي بشّر به نيتشه على لسان زارادشت، ولكن يظل السؤال الكبير من هو الإنسان الأعلى؟ وهل الإنسان الأعلى حكر على الفلسفة النيتشويه ويلزّم توافر الشروط التي ذكرها نيتشه فيه ليكون أعلى؟

الناس سواسية بالحقوق والواجبات في غالبيه الديانات ومختلف الايدولوجيات كذلك، ولكن التساوي بالواجبات والحقوق لا يعني التساوي بالقدرات والمكانة والتأثير، فالتاريخ والماضي مرّ عليه ملايين البشر إن لم نقل بلايين، ولكن لم نسمع ولم نقرأ إلاّ سيرة القليل مقارنه بعدد من عاش في الماضي، لماذا خلّد التاريخ القليل؟ خلدهّم لأنهم يمتازون عن غيرهم بالصفات والقدرات فكل إنسان خلدهُ التاريخ يمكن اعتباره (إنسان سوبرمان) وخصوصاً الايجابيّين منهم، فمن خدم الفكر و العقل والإنسانية والمجتمعات وسعى للنهوض بالأمة الإنسانية هو سوبرمان، قد نستعير هذا اللفظ النيتشوي لنلصقه بالكثير من العظماء عبر التاريخ، فاللفظ ليس مجازي فقط بل واقعي، فالبشرية تحتاج لإنسان أعلى أو أكثر في كل زمان ومكان للنهوض بنفسها، فالإنسان التقليدي لم ولن يخدم الإنسانية بشيء، صحيح هناك الكثير من العراقيل والمخاطر التي تقف في وجه هذا الإنسان الذي تأمل إليه البشرية، ولكنه لا يلتفت لها فأعداء الإنسان الأعلى غير النيتشوي همّ كثر يريدون قتله بالمهد و تقويضه قبل أن يكمل رسالته الإنسانية، فعلى الإنسانية الوقوف مع أي إنسان أعلى يحاول خدمتها، فكل عاقل يرفض الإنسان النيتشوي بشكل كبير كونه عدو للأشياء المشرقة بالحياة مثل الحب والعدل والديمقراطية والخير والفضيلة... الخ، و لكن هُناك إنسان أعلى سواء أحادي أو مجمع يحب العدل و الخير والفضيلة هذا من يستحق أن يكون كذلك و ليس إنسان نيتشه.

4. الإنسان الفائق عند فلاسفة ما بعد الإنسانية

4. 1 التعريف بما بعد الإنسانية أو الإنسانية المتجاوزة

يعود فضل نحت مصطلح (ما بعد الإنسانية Post-humanisme/ Trans-humanisme) إلى عالم الأحياء البريطاني جوليان هوكسلي، وذلك من خلال مقال نشره سنة 1957م. وهو شقيق ألدوس هوكسلي صاحب مقال"عالم جديد شجاع"، الإبن الأصغر لطوماس هوكسلي الملقب بـ(كلب داروين)(17 p. 18)، صاغ هذا المصطلح كمرادف لما أسماه بالفعل بـ " الإنسانية التطورية".

مصطلح ما بعد الإنسانية هو مستقبل افتراضي تتجاوز فيه قدرة البشر المستقبليين لقدرة البشر الحاليين، حيث يكون للذكاء الاصطناعي دور كبير في رسم ملامح هذا العصر، إذ يتم إعادة تصميم الكائن البشري باستخدام تقنيات متناهية الصغر، تقنيات البيوتكنولوجيا، وكان مشروع هوكسلي هو تأسيس أيديولوجية قادرة على دمج العلم مع التكنولوجيات، والدعم بنجاح المقارنة مع الديانات التقليدية.

عرضت الفكرة من خلال قصص من الخيال العلمي في روايتين إحداهما لألدوس هوكسلي سنة 1932م، وأخرى لـ جورج أورويل عام 1949م، فرواية هوكسلي تصور لنا عالماً تسيطر فيه الآلة، وتحل محل الإنسان، عالم تغيب عنه القيم الروحية وحتى الجمالية، أين تغيرت الطبيعة البشرية، عالم يتم فيه تفقيس الأطفال في أنابيب داخل المخابر، عالم خلت فيه مظاهر المرض والشيخوخة.

إذن مصطلح ما بعد الإنسانية ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالتطورات الحاصلة في التكنولوجيا الحيوية(18 .p 18)، حيث أصبحت تلك الأفكار الروائية الفلسفية التي كانت مجرد خيال علمي واقعاً اليوم، بالمختصر فإن مصطلح ما بعد الإنسانية يعني" هي حركة فلسفية وثقافية تهتم بتعزيز الطرق المسؤولة لاستخدام التقنيات قصد تحسين القدرات البشرية وزيادة مدى ازدهار الإنسان"(20 .p 19).

4. 2 الثورة البيوتكنولوجية آلية وسبيل للمستقبل ما بعد البشري

البيوتكنولوجيا هجين أوخليط من المعارف والقدرة على استخدامها على الكائنات الحية، شاركت فيه مجموعة من التخصصات (البيولوجيا، الطب والتكنولوجيا)، والتي يقصد بها مختلف أشكال التداخل التقني في حياة وجسم الإنسان بشكل أخص عن طريق مختلف الطرق والعمليات منها "زرع الأنسجة، الخلايا الجذعية، إضافة إلى إبقائه تقنياً على قيد الحياة بواسطة أجهزة مخصصة لذلك، كما تشمل البيوتكنولوجيا على مجموع التطبيقات الجزيئية للمورثات والبروتينات، وكل ما يتعلق بالهندسة الوراثية وتطبيقاتها، وصولاً إلى إنشاء بطاقة وراثية جينية للجنس البشري وغيره بتكييف الجينات أوتعديلها أو نقلها أو عزلها، أو تنقيتها أو تطعيمها، أو حتى دمجها.

البيوتكنولوجيا هي إحدى التكنولوجيات فيما يسمى بـ(NBIC) المؤدية لمستقبل ما بعد البشري، حيث حدد فرانسيس فوكوياما في كتابه (نهاية الإنسان، عواقب الثورة البيوتكنولوجية)، أربع عوامل أساسية ترتكز أساساً على منجزات مرتبطة بالتقنية الحيوية للوصول إلى مستقبل ما بعد بشري هي؛

معرفة أكبر بالسبيبات الوراثية، إطالة الحياة، علم الأدوية العصبية، الهندسة الوراثية، بهذا ساهمت منجزات البيوتكنولوجية في تغيير نمط الحياة البشرية، فأصبح بإمكان الإنسان المعاصر تغيير حالته الشعورية ومزاجياته كالخوف والكره، والحزن.. وغيرها، والتغلب عليها بفضل عقاقير مخصصة لذلك، وهذا ما جعل فلاسفة ما بعد الإنسانية متفائلين في أن يصبح الإنسان المعاصر أقل اكتئاباً، وأكثر سعادةً.

كانت البداية بفك شيفرة الـ(DNA)، وقد أتاح ذلك إمكانية التعديل الجيني، وإعطاء ما يسمى بالإنسان المعزز، هذه التقنية ستمكن البشر من تحويل أنفسهم تدريجياً إلى أشخاص ستتجاوز قدراتهم ما ندركه اليوم بمصطلح الإنسان. بهذا يعتقد دعاة حركة ما بعد الإنسانية أمثال ماكس مور والفيلسوف السويدي نيك بوستروم Nick Bostrom (1973–)، – وهو من أبرز المتحمسين لفكرة ما بعد الإنسانية والمدافعين عنها، وهو أحد مؤسسي الجمعية العالمية لما بعد الإنسانية، ومدير لمعهد مستقبل الإنسانية بجامعة أكسفورد، ويرمز لحركة ما بعد الإنسانية بـ +H، من أعماله:(التحيز الأنثروبي: الآثار والاختيار والملاحظة في العلم والفلسفة 2002م، الذكاء الخارق: المسارات والأخطار والاستراتيجيات 2014م)–، أن البيوتكنولوجية يمكن استخدامها لتحسين حياة الإنسان، كما يعتقدون أنه لا وجود لمبررات، أو أوامر أخلاقية تحد من تطوير واستخدام تكنولوجيات تعزيز قدرات الإنسان، وقد عبر أحد الفلاسفة المتحمسين جداً لانجازات الثورة البيوتكنولوجية، وهو من أبرز الدعاة لعصر ما بعد الإنسانية والمتمثل في بيتر سلوترداياك، إذ يرى أن الإنسان مخلوق ناقص، بمعنى أنه لم يتحدد، ولم يستقر على طبيعة نهائية، لذا وجب إعادة النظر في خصائصه وطبيعته، وما الطبيعة البشرية سوى أسطورة، ولا يوجد شيء طبيعي بصورة كاملة.

ومنه فإن دعاة ما بعد الإنسانية يرون أنه لا يجب أن تكون الإنسانية الحالية نقطة نهاية التطور، إذ يأمل هؤلاء إلى أن الاستخدام الأمثل للعلم والتكنولوجيا، والوسائل العقلانية الأخرى، سننجح في نهاية المطاف في أن نصبح كائنات ما بعد إنسانية، تتمتع بقدرات أكبر بكثير من البشر الحاليين.

4. 3 الإنسان المتزكي في فلسفة ما بعد الإنسانية

فهذا يوفال نوح هراري في كتابه (العاقل: تاريخ مختصر للنوع البشري) الصادر عام 2018م، تحدث فيه عن ميلاد إنسان جديد أطلق عليه إسم الإنسان المتأله، لما اجترحه من قدرات إلهية كالخلق

والتدمير، وهو تحول يعبر عن لحظة مفصلية في تطور الإنسانية من عصر إنسان حكيم إلى عصر الرشد، يقول يوفال" سيسعى البشر جدياً إلى الوصول إلى الخلود في القرن الحادي والعشرين، إذ إن الكفاح ضد الشيخوخة والموت ليس سوى استمرار لصراعهم ضد المجاعة والمرض"(20 صفحة 26)، هو عصر للاستقلالية الإنسانية في الطبيعة بلغة الفيلسوف الأنجلو–أمريكي ماكس مور Max More، ثم الإنسانية المتحولة، وهي بمثابة قطيعة في نظر ماكس مور بين المرحلة القديمة، والمرحلة الجديدة المتميزة بالانفتاح على إمكانات جديدة.

هذا التحول يثير أزمة حقيقية أمام الإنسان اليوم في محاولته مشاركة الإله في الخلق، فطموح الإنسان المعاصر لا حدود له، حيث مكنته التكنولوجيا من امتلاك قدرات مذهلة، وفائقة ذهنياً وجسدياً، أضحى قادراً على مواجهة مختلف الأمراض وحتى المستعصية منها، وكذا مواجهة الشيخوخة بمختلف مظاهرها، والعيش في سعادة، هذا الطموح هو ما تسعى إليه فلسفة الإنسان الجديد، أو الإنسانية المتجددة باعتبارها حركة –حسب ماكس مور– تروم إلى تحسين الوجود الإنساني وإعلائه عبر التوسل بالعلم. تحالف التقنيات الأربع التي سبق وأن أشرنا إليها، تقنيات والمتمثلة في (النانوتكنولوجي، البيوتكنولوجي، والعلوم المعرفية والمعلوماتية)، اتحاد هذه الحقول يهدف في الأساس إلى انتاج إنسان جديد، أو تحسين الوجود الإنساني بتمديد الأمل في الحياة ليبلغ مئات السنين. يعتقد الخبراء في هذا المجال أن البشر سيهزمون الموت بحلول عام 2200م.

الفيلسوفان راي كورزويل ودي جراي أكثر تفاؤلاً بذلك، يؤكدان أن أي شخص بجسد صحي وحساب مصرفي لا بأس به في حدود عام 2050 ستكون لديه الفرصة الحقيقية للخلود والتحايل على الموت في كل عقد(21 صفحة 29)، ووفقا لهذين الفيلسوفين فإننا ستتجه كل عشر سنوات تقريباً إلى العيادة لنحصل على علاج تجديدي لن يعالج الأمراض وحسب، بل سيعمل أيضاً على تجديد الأنسجة الذاوية وتطوير الأيدي والعيون والأدمغة..، هذا لم نراه إلا في أفلام الخيال وهل يمكن أن يضحى واقعاً اليوم؟. وهل يمكن للبشر اليوم أن يصبحوا غير فانين؟، ثمة محاولة لتمديد متوسط العمر إلى 150 سنة مثلاً، وهذا ما سيغير الكثير من حياة البشر، ثم من الصعب معرفة العلاقة الجديدة التي قد تتطور بين الوالدة والطفل مثلا في ظل العمر المديد!

يحاول البشر اليوم أكثر من وقت مضى ترقية أنفسهم إلى آلهة كوكب الأرض في سعيهم لتحقيق النعيم والخلود، ليس لأنها صفات إلهية فحسب، ولكن يتوجب عليهم أن يحظوا بتحكم إلهي ببنيتهم الداخلية أولاً في سبيل قهر الشيخوخة والبؤس...،" بالطبع إن غياب الشيخوخة يعطي فرصة للجسم في حياة أطول التي نعبر عنها بالخلود البيولوجي، ويعيش الجسم حالة من الشباب الدائمة، فإذا انخفض معدل الشيخوخة تمتع الإنسان بعمر أطول"(22 صفحة 14)، إذ اعتمدت زيادة القدرة البشرية حتى الآن وبشكل رئيس على ترقية أدواتنا الخارجية، ولعلها ستعتمد أكثر على ترقية الجسم والعقل البشريين مستقبلاً، أو على الدمج المباشر مع أدواتنا، أين سيختفي الإنسان العاقل، بمجرد ما تمكننا التقنية من إعادة هندسة عقول البشر، وسينتهي تاريخ البشرية ليبدأ عهداً جديداً، وصيرورة جديدة تماماً.

إذن يجسد مشروع الإنسانية المتحولة من هذا المنظور أهداف النزعة الإنسانية، والتنوير وهي الدفاع عن حقوق كل فرد في حرية التصرف في جسده بغية تحسينه فلكل فرد أن يستفيد من الاستعمال العقلاني لبيوتكنولوجيات التحسين، والتعالي إذاك على لأشكال الحالية للوجود الإنساني.

المرحلة المقبلة من التاريخ لا تقتصر على التحولات التقنية فحسب بل تحولات جذرية في الوعي والهوية البشرية، وقد تكون جوهرية إلى درجة أنها تثير التساؤلات حول مصطلح بشري ذاته، يُعد البحث عن الخلود وتمديد الحياة الموضوعية الرئيسية في فلسفة ما بعد الإنسانية إذ لم يعد الموت برأي (بوستروم) مشكلة أنطولوجية إنما هي بالأحرى مشكلة تكنولوجية بسيطة تحتاج إلى حل، ولتحقيق هذا المبتغى يسلك دعاة هذا الاتجاه الفلسفي المعاصر.

4. 4 الثورة البيوتكنولوجية وتجاوز الطبيعة البشرية

من أبرز المنتقدين لفلسفة حركة ما بعد الإنسانية التي جعلت من تقنيات الثورة البيوتكنولوجا مطية لها، التيار المحافظ، وعلى رأسه الألماني يورغن هابرماس، والأمريكي فرانسيس فوكوياما، فهم يعارضون بشدة التدخل العابر لإصلاح الطبيعة البشرية بغرض التعزيز، لكون استخدام تطبيقات التكنولوجيا الحيوية للتعديل الجيني منافي لمفهوم الطبيعة البشرية.

تهدف فلسفة ما بعد الإنسانية إلى تحسين الطبيعة البشرية باستخدام كل التقنيات البيوتكنولوجية لزيادة صحة الإنسان، وتوسيع نطاقه الفكري، وقدراته الجسمية، لكن هذا ما لم يقبله التيار المحافظ،"انتهاك حرمة الطبيعة البشرية، ومن إطلاق العنان لحرية التصرف في الصورة الطبيعية

والرمزية التي تحملها البشرية عن نفسها"(23 صفحة 36) حسب فوكوياما، هذا التيار المحافظ يعمل على الحفاظ على طبيعة الإنسان كما هو خوفاً من مستقبل غامض ومجهول، وما يمكن أن يترتب عنه، فذلك ولد قلقاً وخوفاً إزاء الاستخدام المتزايد واللا محدود للتقنيات البيوتكنولوجية على الكائن البشري، وهو ما يشكل تهديداً حقيقياً على مستقبل هذا الأخير، يقول هابرماس" إننا نخشى فكرة أن يقوم الإنسان بفبركة أناس آخرين"(24 صفحة 38). فالامتثال لطموح حركة ما بعد الإنسانية القائم على التعديل الجيني سيعود حتماً بعواقب وخيمة على الإنسان نفسه، وعلى النظام العام الاجتماعي والسياسي أيضاً.

لقد عبر فوكوياما على مخاوفه تلك إزاء ما سينجر عن التغيرات التي تحدثها التقنيات الحيوية أملاً في تجاوز الإنسان الحالي إلى الإنسان الخارق، وهو تخوف مشروعاً، من فقدان الإنسانية لإنسانيتها، التي تشكل في الأساس جوهرها، وأحاسيسها بالكينونة والمصير، مصير هذا الكائن الذي قد لا يختلف عن الآلة في حد ذاتها.

يشاطره الرأي ليون كاس عالم الأخلاق الحيوية، الذي انتابه قلق حول مصير ومستقبل البشرية في ظل الانتهاكات الأخلاقية جراء استخدام تقنيات التكنولوجيا الحيوية في محاولة قهر الأمراض المختلفة ومواجهة الموت والشيخوخة، في نفس الوقت تفقد البشرية صفاتها الحقيقية، هذا ما ولد أزمة الإنسان المعاصر حسب التيار المحافظ، وهي أزمة الوجود البشري.

الإنسان إذا عدلت جيناته في المخابر بواسطة التقنيات الحيوية يصبح إنساناً مصنعاً، هذا ما يتنافى مع مفهوم الاستقلالية، كما يتنافى ومفهوم الإنسان الذي يصبو إليه نيتشه في فلسفته الأخلاقية، الإنسان القادر على صناعة قيمه ومبادئه.

دخول عصر ما بعد الإنسانية يفترض تعديلاً في الطبيعة البشرية، وهذا يُعد إسقاط وسلب للكرامة الإنسانية، وهذا يعني بصورة أخرى نهاية إنسانية الإنسان، ومنه نهاية الإنسان، لأن الكرامة الإنسانية هي جوهر الإنسان كونها متأصلة في شخصه، وكل عمل على تغيير هذه الطبيعة هو مساس بكرامة صاحبها، وهو ما عبر عنه فوكوياما" إن أعمق المخاوف التي تعتري الناس بخصوص التقنية الحيوية في النهاية، في أن تفقد بشريتنا بصورة ما كرامتها، أي تلك الخاصية الجوهرية التي شكلت دوماً

أساس إحساسنا بكينونتنا ومصيرنا،برغم جميع التغيرات الواضحة التي طرأت على الحالة البشرية طوال مسيرة التاريخ"، وعبر عنه هابرماس " والحال أن ما يضمن إنسانية الإنسان هو احترام كونه (شخصاً) بالمعنى الأخلاقي والقانوني، وأن ما يؤكد كرامته هو ألا يتحول إلى أشبه بآلة خاضعة للتعديل والتسويق والتشييء"(25 صفحة 37)، يضيف هابرماس عن الكرامة الإنسانية قائلاً" تستحق الحياة الإنسانية (الكرامة) وهي تتطلب وجوب الاحترام حتى بأشكالها المغفلة"(26 صفحة 48).

5. خاتمة

يبدو من خلال ما سبق أن البشرية تعمل جاهدة لتجاوز ذاتها إلى وضع يفوق واقعها، أملاً في تحسين جنسها، واضعة تلك الصورة المثالية في أعلى هرم تفكيرها، لم يبق الأمر حلما مع التطورات التقنية التي عرفتها الإنسانية اليوم، في مجالات الاستنساخ واليوجينيا، والهندسة الوراثية، والذكاء الاصطناعي...، هذه التقنيات مكنت الإنسان من تحقيق مبتغاه، بل تجاوز ذلك إلى دمج البشر بالآلة طمعاً في الخلود وتحدي الموت.

لكن هذا شكل تحدياً في نظر البعض، مما يؤدي إلى انقلاب ذلك على الإنسان ذاته، فيثير ذلك قلقاً حاداً يزج بالإنسانية في أزمات جديدة أخلاقية ودينية، قانونية وسياسية، فتجد الإنسان يعيش صراعاً داخلياً مع ذاته.

6-قائمة المصادر والمراجع

1. **Lydia L. Moland** .Friedrich Schiller .*Stanford Encyclopedia of Philosophy* . [تاريخ الاقتباس: 24 01, 2023.] Apr, 2021 [متصل] 26 .
https://plato.stanford.edu/entries/schiller./

10. **فؤاد كامل**. *أعلام الفكر الفلسفي المعاصر*. بيروت-لبنان : دار الجيل، 1993.
11. **فريدريك نيتشه**. *عدو المسيح*. سوريا : دار الحوار للنشر والتوزيع، 2004.
12. **جيل دولوز**. *نيتشه*. بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2001.
2. **مجمع اللغة العربية**. *المعجم الفلسفي*. مصر : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983.

3. **محمد الشيخ**. *نقد الحداثة في فكر نيتشه، الجزء الثاني*. بيروت–لبنان : الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008.

4. **فريدريك نيتشه**. *العلم المرح*. المغرب : إفريقيا الشرق، 1993.

5. **عبد الرحمن طه**. *شرود ما بعد الدهرانية، النقد الائتماني للخروج من الأخلاق*. بيروت–لبنان : المؤسسة العربية للفكر والابداع، 2016.

7. **أنظر: عبد الرحمن بدوي**. *الموسوعة الفلسفية،ج1*. بيروت : المؤسسة العربية للدراست والنشر، 1984.

9. **بيار بودو**. *نيتشه مفتتاً*. بيروت–لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1996.

10. **F Nietzsche**. *Ainsi parlait Zarathoustra* .Paris : Union générale d'édition, 1980.

11. **فريدريك نيتشه، عن الألمانية علي مصباح**. *هكذا تكلم زرادشت كتاب للجميع ولغير أحد*. كولونيا، ألمانيا : منشورات الجمل، ط1، 2007.

12. **عبد الرحمن بدوي**. *الموسوعة الفلسفية، ج2*. بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984.

13. **Gilbert Hottois** .*Le Transhumanisme est-il un Humanisme?,* Belgique : Académie Royale des Sciences des lettres et des beaux-arts, 2014.

14. **يوفال نوح هراري**. *الإنسان الإله تاريخ وجيز للمستقبل*. (د.م) : مكتبة الحبر الالكتروني، (د.ت).

15. **حسن الخاطر**. *الخلود البيولوجي*. (د.م) : أطياف للنشر والتوزيع، 2014.

16. **علي عبود المحمداوي وآخرون**. *خطابات الـ"ما بعد" في استنفاذ أو تعديل المشروعات الفلسفية*. الجزائر : منشورات الإختلاف، 2013.

17. **يورغين هابرماس**. *مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية*. بيروت–لبنان : المكتبة الشرقية، 2006.